نحـــو

فلسفـــة إسلاميـــة معاصـــرة

د. محمد عمارة

مفكـــر إســـلامي

نحـــو
فلسفـــة إسلاميـــة معاصـــرة

هذه الصفحات ليست بحثاً فى الفلسفة الإسلامية - بالمعنى الفنى « للبحث » ولا للفلنسفة الإسلامية وإنما هى - فى مبلغ طموحها - « تصور » فى نقاط ، للسبيل إلى « فلسفة إسلامية معاصرة » .

« نحو » فلسفة إسلامية معاصرة هو موضوع هذا البحث .. وليس « البحث » فى ماهية الفلسفة الإسلامية المعاصرة .

ولما كان الهدف من هذا « التصور » هو حفز الفكر لإدارة الحوار حول هذا الموضوع لذلك كان اختيار عرض عدد من النقط ، التى هى قضايا ، نأمل أن يقود الحوار فيها وحولها إلى خطة « طموحة - وعملية » ، تثمر ، إذا هى وضعت فى الممارسة والتطبيق فلسفة إسلامية معاصرة ، تفى بحاجات العقل المسلم فى هذا الميدان من ميادين المعرفة الإسلامية ..

وإذا كان هذا هو إطار موضوع هذه الصفحات .. فإن النقاط التى تمثل قضاياه ، هى - على وجه التحديد :-

١ - هل من الممكن ، والضرورى ، أن تكون الفلسفة معاصرة ؟

٢ - وهل الفلسفة ضرورية فى عصرنا الراهن ؟

٣ - وما هى ملامح واقعنا الفلسفى المعاصر ؟.. وهل نحن فى « مأزق فلسفى » ؟

٤ – وما هو السبيل إلى الخروج من هذا « المأزق الفلسفى » ؟.. وهو المأزق الذى يشل طاقة إبداعنا الفلسفى .. وهل من نماذج لمقولات تمثل معالم فى « مشروع » لـ« فلسفة إسلامية معاصرة » ؟؟

تلك هى النقاط التى تطمح هذه الصفحات إلى بلورة تصور أولى حول موضوعاتها : لحفز الفكر إلى الحوار حولها ، تمهيداً لتجاوز مرحلة « نحو » .. وبلوغ « الغاية » فى هذا الموضوع .. غاية إحياء وتجديد وإبداع فلسفتنا الإسلامية المعاصرة ، إن شاء الله ...

١ – أما فيما يتعلق بعلاقة الفلسفة – أية فلسفة – بالعصر – أى عصر – فإن الأمر الذى لا شك فيه ، أن هناك فارقاً بين وحدة الحقيقة ، وثباتها .. وبين نسبية ما يدركه العقل من هذه الحقيقة الثابتة ، الأمر الذى يجعل لكل عصر من العصور مدخلاً فى مستوى الإدراك لهذه الحقيقة الثابتة ، وفى حجم المُدرك منها .. كما أن لكل عصر مشكلاته التى تستدعى إعادة ترتيب الأولويات ، أولويات القضايا والمشكلات الفكرية الملحة والمطروحة على عقل المعاصرين لهذه القضايا والمشكلات .. الأمر الذى يجعل للفلسفة – أية فلسفة – علاقة بالعصر – أى عصر – على الرغم من وحدة الحقيقة الفلسفية ، وثباتها ..

فمشروعٌ هو ، وطبيعى الحديث عن فلسفة إسلامية معاصرة .. والتوجه نحو إحيائها وتجديدها وإبداعها ، انطلاقاً من حقائقها الثابتة ، وفى ضوء ما بلغه العقل المسلم من إدراك هذه الحقائق الثابتة ، استجابة لمشكلات الأمة المعاصرة ، التى تستدعى ترتيباً للقضايا يلبى إبداع الحلول الفلسفية لهذه المشكلات .

* * *

٢ – أما عن ضرورة الفلسفة لعصرنا الراهن ؟؟

فلربما بدا هذا التساؤل غريباً لدى البعض ؛ لكن الذى يجعله طبيعياً ، ويطلب الإجابة عليه ، هو ما يتردد فى كثير من الكتابات التى تقول بسقوط – أو على الأقل تراجع – العقائد والأيديولوجيات فى هذا العصر الذى نعيش فيه .. فهناك ، إذاً ، دعوى تراجع الفلسفات والعقائد والأيديولوجيات ، فى عصرنا الراهن ، لحساب العلم والإنجازات التى يحققها فى التطبيق المادى ، وفى ميادين الغنى والثراء على وجه الخصوص ..

وفى اعتقادى أن نظرة فاحصة إلى واقع عصرنا الراهن ، ستضع يدنا وعقلنا على زيف هذه الدعوى .. دعوى سقوط العقائد وتراجع الفلسفات والأيديولوجيات لحساب العلم وتطبيقاته والثمرات المادية لإنجازاته .

فالتراجع – الذى يضرب به أصحاب هذه الدعوى المثل – للأيديولوجية الماركسية – فى الدول الاشتراكية – مثلاً ، إنما يتم لحساب الأيديولوجية الليبرالية ... فالاعتراف بأهمية الحافز الفردى فى الاقتصاد ، وبالحقوق الفردية للإنسان ، والتخلى عن ضرورة واحدية الحزب ودكتاتورية الطبقة – البروليتاريا – ليس تراجعاً عن الأيديولوجية الماركسية لحساب العلم وضرورات الواقع وحدهما ، وإنما هو تراجع تدريجى يدفعه العلم وضرورات الواقع نحو التبنى للأيديولوجية الليبرالية الغربية .. فما يحدث فى هذا النطاق هو استبدال أيديولوجية بأخرى – بتدرج بطىء – الأمر الذى يوحى بعودة التئام الانشقاق الذى حدث فى الأيديولوجية الغربية – الليبرالية – التئام الشق الشمولى فى الشق الليبرالى .. فلسنا أمام سقوط مطلق الأيديولوجية ، وإنما نحن أمام استبدال نوع منها بنوع آخر .. بل إن تأثير الأيديولوجية الليبرالية ، وقدراتها على تجديد نظامها ، وكفاءة مؤسساتها فى محاصرة كثير من أمراضها ، هى عوامل فاعلة فى هذا التراجع للنموذج الشمولى لحساب النموذج الليبرالى .. ففعل الأيديولوجية هنا قائم ، بل وحاسم .. على عكس ما يحسب الذين يتحدثون عن تراجع واقعنا المعاصر عن الاستجابة لتأثير الأيديولوجيات .

وهذا التقسيم الذى ميز ويميز المجتمعات المعاصرة إلى « أغنياء » و « فقراء » – « شمال » و « جنوب » – والذى يسوقه دعاة سقوط الأيديولوجيات وتراجع العقائد دليلاً على دعواهم – هو الآخر شاهد عليهم ، وليس شاهداً لهم . فالعامل الأيديولوجى بالغ التأثير وحاسم فى الفعل ، سواء فى غنى الأغنياء أو فى فقر الفقراء .. فالمجتمعات التى صنعت لها العقائد إطار انتماء ، حركها فى مشروع نهوضى ، هى التى انعتقت من الفقر .. وبعض هذه المجتمعات قد سعت لفرض نموذجها الأيديولوجى على « الغير » ، وفى سبيل ذلك حاولت مسخ ونسخ وتشويه أيديولوجيات هذا « الغير » ، فأصابت إطار الانتماء لديه بالعطب ، الأمر الذى أصاب المجتمعات التى ابتليت بذلك بتمزق الهوية ، والانقسام فى التوجه الأيديولوجى ،

فأعاق ذلك شعوب هذه البلاد عن بلوغ حقيقة الاستقلال عن هيمنة الأغنياء – أهل الشمال – فظلوا فى معسكر الفقراء – أهل الجنوب – فالعامل الأيديولوجى قائم ، بل وبارز ، أيضاً فى هذا التقسيم وهذا الانقسام .

إن هذا الذى يشهده واقعنا المعاصر لا يعدو أن يكون تنوعاً وتغيراً فى أشكال الصراع بين الأيديولوجيات .. فهو شاهد على دورها فى تحريك فرقاء هذا الصراع وليس شاهداً على سقوطها أو تراجعها بحال من الأحوال ..

٣ – فإذا ما جئنا إلى « وضعنا الحضارى » ، وجدنا أنفسنا إزاء أمتنا الإسلامية التى فرض عليها الغرب – باستعماره – هيمنة وتغريباً واستلاباً حضارياً ، يناهز عمره القرنين من الزمان ، مارس فيه ولا يزال ضروب المسخ والنسخ والتشويه لهويتنا الإسلامية وخصوصيتنا القومية وتميزنا الحضارى ..

لقد أحرز الغرب نجاحاً لا ينكر على جبهة شق « وحدة عقل الأمة » ، فتكونت فى واقعنا الفكرى نخبة اتخذت منه قبلتها الفكرية والحضارية ، ورأت فى نموذجه وخياره الحضارى « مدينتها الفاضلة » ، فبدأت من حيث انتهى ؛ بل وأحياناً من حيث بدأ ، قاطعة الأسباب التى تصلها بتراثها الفكرى والمسيرة الحضارية لأمتها الإسلامية .

ولقد ساعد الغرب على إحراز هذا النجاح عجز المؤسسات الفكرية الإسلامية التى كانت قائمة فى بلادنا عند اجتياحه لها ، وجمود الفكر الموروث الذى كانت قد عكفت عليه هذه المؤسسات ، على النحو الذى أعجزه عن ملء الحياة الفكرية للأمة ، وتحريك طاقات المقاومة فيها ، وتقديم البديل المنافس للنموذج الغربى . لقد حاصر الغرب محاولاتنا فى اليقظة ، ليبقى الفراغ الذى حاول ملئه بالتغريب !

لقد مثلت مؤسساتنا الفكرية الموروثة ، فى جملتها : « الفلسفية – النصوصية » ، التى اتخذت من سلف عصر التراجع الحضارى المرجع والقدوة والمَعِين .. الأمر الذى جعلها تخسر السباق مع الغرب ، ففقدت من بينها النخبة التى انبهرت به ، فتغرب عقلها ، واتخذت منه السلف والمرجع والقدرة والمعين .. وأصبحنا بإزاء لونين من « السلفية – النصوصية » ، تنطلق أحدهما من تراثنا العاجز ، والأخرى من تراث الغرب غير الملائم ... فكان عجز هاتين السلفيتين عن إنهاض الأمة من التخلف الذى أنشب فيها أظافره منذ عدة قرون ..

إن الكثير من طاقات أمتنا الفكرية تتبدد فى صراع بين فرقاء هذه « السلفية النصوصية » ، فبين « المنسحبين من الزمان » و « المنسحبين من الخصوصية الحضارية » تدور أغلب المعارك الفكرية التى تستنفد الجهد والطاقة دون أن تنهض بالأمة من المأزق الذى تردت فيه ..

وهنا ، ولهذه الملابسات ، تبرز الأهمية البالغة للإحياء والتجديد الذى يستبدل منابعنا الفكرية الجوهرية والنقية – وفى مقدمتها القرآن والسنة – بمتون وحواشى عصر التراجع الحضارى .. ويستبدل « التفاعل الحضارى » الخلاق « بالتبعية والتقليد » للآخرين .. الإحياء والتجديد على الجبهة الفكرية العريضة .. وفى ميدان الفلسفة الإسلامية على وجه الخصوص ، وذلك ابتغاء بلورة الأيديولوجية الخاصة ، القادرة على أن تكون « الهوية الفكرية » التى تحقق ، بالنسبة للأمة ، رباط الانتماء إلى مشروع حضارى إسلامى ، جديد ..

لقد حول الغرب – بقوته وبفكره – ديار الإسلام وثرواتها وشعوبها إلى هامش لمركزه الحضارى .. ففرض علينا الجهاد ، بمعناه الواسع والشامل لكل ميادين الحياة ، للتحرر السياسى والاقتصادى .. والتحرر الأمنى والعسكرى .... والتحرر الحضارى .. ولتوحيد وطن الأمة الحضارى .. ولاستخلاص أجزائها وشعوبها السليبة والأسيرة ... ولحماية ثغورها المهددة .. ولمساندة أقلياتها المستضعفة .. وللعودة بها وبالإسلام إلى مكان الصدارة والإمامة فى « منتدى الحضارات » العالمية ، كى تسهم فى إثراء وإغناء الفكر الإنسانى من جديد ..

وفى هذا الجهاد ، تتجلى أهمية الأيديولوجية – العقيدة – ويغدو التجديد لفلسفة الإسلام ، التى تستجيب لمشكلات العصر ، وتتصدى لتحدياته طوق نجاة ودائرة انتماء وروحاً حضارية لا بديل عنها كى تحقق الأمة نصرها المأمول فى هذا الجهاد ..

* * *

والأمر الذى لا شك فيه أن حاجتنا إلى الإحياء والتجديد لفلسفة إسلامية معاصرة ، سيتزايد إلحاحها وتبرز ضروراتها إذا نحن نظرنا فى « واقعنا الفلسفى الراهن » و« المأزق الفلسفى » الذى نعيش فيه .. لمذ فالمقارنة بين المهام الواجبة والواقع القائم تبرحجم الجهد الفكرى المطلوب فى هذا الميدان ..

وإن الواقع الراهن للفكر الفلسفى فى حياتنا العقلية ، مصاب – إلى حد كبير جداً – بالانفصام عن الهوية العقدية للأمة ، وبالغربة عن واقعها ، ومن ثم بالعجز عن تلبية احتياجاتها العقلية ومواجهة التحديات التى تتنازع عقلها ووجدانها ، سواء منها «التخلف الموروث» أو «الوافد الغريب» والضار .

فموروثنا فى علم الكلام الإسلامى – والذى مثل فى عصر نشأته فلسفة الأمة ، ودرع عقيدتها ، وإحدى قسمات أيديولوجيتها هذا الموروث – كما هو حاله الآن – مثقل بمشكلات ومعارك ومقولات تجاوزها الزمن .. حتى لقد غدت قيوداً تعجز حركة هذا العلم ، وتحول بينه وبين أن يكون قسمة فى فلسفة إسلامية معاصرة .. بل لا نبالغ إذا قلنا إن بقاءه على ما هو عليه هو عامل من عوامل « غبن » العقيدة ، حيث المطلوب منه أن يكون الباعث على صفائها ويقينها !

وموروثنا فى التصوف ، قد توزعت آثاره وتياراته بين تيارين .. تيار غلب عليه الغنوص الباطنى ، المجافى للعقل والنقل معاً ، والذى إن صلح لتجربة ذاتية ، فهو غير صالح للتعميم ، ومن ثم فهو عاجز عن أن يكون قسمة فى أيديولوجية محركة للأمة فى هذا الجهاد .. أما التيار الثانى فهو موروثنا الصوفى ، فهو ذلك الذى سادت فيه الشعوذة والخرافة ، على النحو الذى جعل منه قيداً غليظاً وثقيلاً يعجز قطاعات عريضة من الأمة عن أن تكون إيجابية فى مواجهة ما فرض علينا من تحديات ..

أما التراث اليونانى فى موروثنا الفلسفى – والمتمثل فى آثار فلاسفتنا المسلمين – فهو بالرغم من فوائده فى الدراسات الفلسفية المقارنة – إلا أنه بالنسبة لموضوعنا موضوع الفلسفة الإسلامية ، التى تسهم فى بناء أيديولوجية معاصرة للأمة ، تجدد بها ذاتها وواقعها ودينها ودنياها – إن هذا التراث الفلسفى اليونانى هو : بذرة ثبتت غربتها عن تربة واقع هذه الأمة ، وتأكد عجزها عن أن تنبت وتنمو فيها على نحو طبيعى ، يحقق الملائم من الثمرات .

وهذا الفكر الفلسفى ، الذى استعرناه من الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة رغم أهميته البالغة فى توسيع الأفق الذى يقارن بين الفلسفات والأنساق الفكرية – إلا أنه لم يعد دائرة : المذاهب التى عبرت وتعبر عن « خصوصيات » للواقع الغربى وللعقل الغربى ، عجزت هى الأخرى – كما عجز الموروث الفلسفى اليونانى – عن أن

تكون فلسفة الأمة الإسلامية عجز المقولات اليونانية فى تراثنا الفلسفى عن أن تكون فلسفة الإسلام .. وهذا العجز هو الذى جعل الساحة الفلسفية بيلادنا تخلو من الفيلسوف المسلم، صاحب المذهب، والذى يجد له جمهوراً أو مدرسة أو تياراً فلسفياً .. إننا إذا صنفنا الأفغانى، أو محمد عبده، أو مصطفى عبد الرازق فى عداد فلاسفة الإسلام المحدثين والمعاصرين، فلن نستطيع أن نضم إليهم أحداً من أساتذة الفلسفة اليونانية أو الغربية، باعتبارهم من فلاسفة الإسلام ...

إن النقص لم يكن فى الكفاءة ... والعيب لم يكن فى المعدن .. والمشكلة لم تكن فى الأرض الرافضة للتفلسف والفلسفة وإنما كان النقص والعيب والمشكلة فى البذرة الغربية، غير الصالحة للإنبات والنمو فى عقل الأمة ووجدانها، لأنها من « خصوصيات » الغير الاعتقادية، وليست من « المشترك الإنسانى العام » !

إذاً .. فنحن أمام « مأزق فلسفى »، أصاب فكرنا الفلسفى بالقصور الذى يقارب العقم وهو مأزق جعل حياتنا العقلية فى الفكر الفلسفى تقف عند « مُدَرِّس الفلسفة » و« دارس الفلسفة » .. دون أن تتبلور لدينا فلسفة إسلامية معاصرة، لها فلاسفتها ومدارسها وتياراتها .. فلسفة تستجيب لمشكلات العقل المسلم المعاصر، وتعينه على تفسير واقعه وعلى تغييره، وتشد أزره فى مواجهة ما يواجه من تحديات ..

مأزق الفقر فى الإبداع، بسبب الكسل النابع من عادة واعتياد التقليد للآخرين، بل والتسول - أحياناً - على موائد هؤلاء الآخرين !..... فالبذور المستعارة غير ملائمة للأرض الخاصة .. والزراع لا علاقة لمهاراتهم بعلم فلاحة الأرض التى عليها يعيشون ؟؟!

٤ - لكن ... هل من سبيل للخروج من هذا المأزق الفكرى الفلسفى ؟؟.

إن الجواب لا يمكن إلا أن يكون بالإيجاب !.. ففى حضارة جعل الله التجديد لدينها سنة وقانوناً، لا يمكن لأهلها دوام البقاء على التقليد فى فلسفتها ؟! فمن الممكن - بل والواجب - القيام بنهضة فلسفية - كجزء من فريضة النهضة الفكرية

العامة – تستعين بـ« التجديد » و بـ« الإبداع » على صياغة فلسفة إسلامية معاصرة للإنسان والمسلمين ، لتكون هذه الفلسفة هى « الفكرية – الأيديولوجية » التى ينظرون من خلالها النظرة الإسلامية للكون ، ويفسرون بها واقع الحياة التفسير الإسلامى ، ويستعينون بها على تطوير هذا الواقع وتغييره بمعايير الإسلام وأدواته فى التطوير والتغيير ، ويتسلحون بها فى مواجهة التحديات ، سواء منها ما كان موروثاً متخلفاً أم وافداً ضاراً ...

وفى اعتقادى أن إنجاز هذه المهمة الكبرى – مهمة بلورة فلسفة إسلامية معاصرة تمثل فكرية أيديولوجية – لأمة تريد أن تجدد واقعها بواسطة دينها الإسلامى – إن إنجاز هذه المهمة إنما يستدعى تخطيطاً وتنفيذاً – لابد له من فريق عمل قائد لكوكبة عريضة من صفوة المشتغلين بالفلسفة الإسلامية .. يستدعى هذا الإنجاز تخطيطاً وتنفيذاً أوجز أبرز معالمه فيما يلى من نقاط :

١ – الالتزام بالحقيقة القائلة : إن المسلمين أمة متميزة حضارياً ، لتميز شريعة الإسلام عن غيرها من الشرائع ... وأن العلاقة مع « الآخر » الحضارى – ومن ثم « الآخر » الفلسفى يجب أن تكون علاقة « التفاعل » ، من موقع المستقبل الراشد ، فتبرأ من غلو « الانغلاق » أو « المحاكاة والتقليد » ..

٢ – اعتماد سبيلين هما :

أ – التجديد والإحياء والتنقية لموروثنا الفلسفى – من الوحى الإلهى ، والسنة النبوية ، وتراث الفلاسفة الإسلاميين – وفق معايير العقيدة الإسلامية .. وبعقل معاصر ومستنير .. وفى ضوء مشكلات العصر وتحدياته وقضاياه ...

ب – والإبداع الفلسفى الجديد ، الذى يستجيب لضرورات العصر وقضاياه الفكرية التى لم يعرفها القدماء ...

٣ – استهداف أن تمثل هذه الفلسفة : فكرية – أيديولوجية – أمة الإسلام ، لالتزامها بعقيدة هذه الأمة ، وتوجهها لتفسير واقعها وتطويره وتغييره باتجاه الاتساق مع معايير الإسلام ... وذلك كى لا تكون هذه الفلسفة ترفاً فكرياً لصفوة معزولة عن الواقع ومتعالية عليه ، وعلى عقيدة أهله الدينية . فالمطلوب لهذه الفلسفة ومنها : أن تكون

قسمة فى « المشروع الحضارى الإسلامى » ، المدعو كى يكون « دليل عمل » النهضة الإسلامية ، التى تعيد الإسلام وأمته إلى موقع الإمامة والصدارة والشهود الحضارى فى منتدى الحضارات الإنسانية ، قياماً بفريضة القيادة والترشيد للعالمين ... إنها « فلسفة – مجاهدة » لابد لها من « فلاسفة – مجاهدين » !

٤ – أن يكون « التوحيد الإسلامى » بأبعاده العقدية والحضارية والاجتماعية والإنسانية ، التى لا تعرف التناهى .. وكذلك « الوسطية الإسلامية – الجامعة » : الروح والمزاج والصبغة التى تعصم هذه الفلسفة الإسلامية من أزمة ومأزق فلسفة الحضارة الغربية ، مأزق « الثنائية – الانشطارية » بين : مادية ومثالية .. فرد ومجموع ... ذات وموضوع . جسد وروح . دين ودولة .. دنيا وآخرة ... سماء وأرض ... إلى آخر هذه الثنائيات التى أفقدت وتفقد إنسان تلك الحضارة الغربية التوازن والاتزان .

إن فلسفة الإسلام ، وفلسفة المسلم ، هى التى تنبع من شمولية الإسلام الجامعة والمحيطة بكل عوالم الكون الغائبة والمشاهدة ، وبكل أمم المخلوقات – الإنسية وغير الإنسية ، وهى التى تعين المسلم – إذا اتخذ منها المنظار الذى ينظر به – على الانتماء إلى هذا الكون كخليفة عن خالقه ، وزميل لمخلوقاته الأخرى ؛ فتتحقق له السعادة ، بالموقف الوسطى المتوازن أمام المتناقضات .

إنها الفلسفة التى يتحقق فيها وبها الجمع والتأليف والتوفيق والتساند والارتفاق بين كل من :

— العقل والنقل ... فعقلها مدرك لنطاقه ولآفاقه .. ونقلها معقول ..
— وعالم الغيب وعالم الشهادة ..
— والمادية المؤمنة بخالق المادة ، الداعى لتقديرها حق قدرها ..
— والسببية المؤمنة بخالق الأسباب والمسببات .. والسنن والقوانين الفاعلة والمخلوقة فى ذات الوقت .
— واعتماد العقل أداة للنظر فى كتابى : الوحى ... والكون .
— ونظرية فى المعرفة ترى أثر الموجودات فى المعارف .. وتؤمن بالسمعيات مصدراً للمعارف فيما لا تستقل الحواس – ومنها العقل – بإدراكه .
— وتحقق – بالإيمان الدينى – انتماءً الإنسان للكون والمحيط ، كى لا يصاب بالاغتراب .

— وتمثل الدليل الذى يفسر للإنسان – ويجيبه على – علامات استفهامه عن البدء والمسيرة – والمصير والحكمة .. والغاية .. وذلك عندما تشمل مقولاتها قضايا من مثل :–

أ – العقائد فى الألوهية .. والخلق .. والنبوة والرسالة .. وعالم الغيب .. واليوم الآخر .. والحساب والجزاء ..

ب – الحياة الروحية التى توازن ضرورات الجسد وغرائزه .

ج – الأخــــلاق ..

د – الاجتمـــاع الإنسانى .. فى السياسة .. والاقتصاد .. وكل شئون العمران البشرى ..

هـ – التربية الجمالية والفنية و الأدبية للإنسان ..

و – الحيــاة العقليــة ..

ز — وفلسفة الإسلام فى العلوم والفنون والآداب .. وفى تصنيف هذه العلوم ..

إنها فلسفة حياة المسلمين كما حددها دين الإسلام ...

وإذا كان « الإبداع الفلسفى » الذى يستجيب لهذا التصور ، هو سبيل أساسى لتحقيقه ، فإن إسلامية هذا الإبداع هى رهن بمجيئه فى إطار التواصل الحضارى مع ثوابت وأصول دين الإسلام وتراثه فى العقلانية الإسلامية .. وأصول الدين وأصول الفقه .. والحكمة والفلسفة الإسلامية .

ولذلك ، فأنا أتصور نقطة البدء فى هذا المشروع – الذى يمثل « طموحاً – ضرورياً » – أتصور نقطة البدء فيه متمثلة فى :–

أ – الجمع والتصنيف والتبويب لنصوص القرآن الكريم والسنة النوية والحكمة العربية المتعلقة بالنظر العقلى .. والعقائد ... والكون .. والإنسان .

ب – إنجاز مشروع : (صفوة المختار من التراث الفلسفى الإسلامى) .. لتجتمع لهذا العمل – من أدواته ومنطلقاته – بعد نصوص القرآن والسنة والحكمة العربية :–

— المختارات التى تمثل ثوابت وأصول علم الكلام الإسلامى – بعد تنقيته وتجريده وتهذيبه من المعارك والمشكلات التى تجاوزها الزمن ، وزالت ملابساتها .. وكذلك

ثوابت وأصول فلسفة التشريع الإسلامى - أصول الفقه ..

— والمختارات التى تمثل الإضافات الإسلامية والإبداعات الإسلامية للفلاسفة المسلمين فى شروحهم على فلسفة اليونان والهند ..

— والمختارات الصوفية التى جعلت من الذوق والقلب سبيلاً للوعى والمعرفة والارتقاء الروحى ، بعد تنقيتها – قدر الإمكان – من الغنوص الباطنى ومن الشعوذة والخرافة ..

— والمختارات التى تمثل إبداع المسلمين فى فلسفة العلوم .. وفى تصنيف العلوم ..

فإذا أنجزنا هذا المشروع ، الذى يجدد وينقى ويحيى : (صفوة النصوص الفلسفية الإسلامية) .. ويبوبها ، كنا قد يسرنا لفكرنا الفلسفى المعاصر : « الموروث الإسلامى فى الفلسفة » .. وهيأنا للعقل الفلسفى المسلم المعاصر : « المنطلق » الذى يستطيع – إذا هو رأى فى ضوئه واقعه المعاصر – أن يبدع ويطور كى يصل إلى فلسفة إسلامية معاصرة ، تتحقق فيها الإسلامية ، بالارتباط بالأصول الإسلامية .. وبالاستجابة لمشكلات الواقع الذى يعيشه المسلمون .. الاستجابة الإيجابية التى توظف الفكر الفلسفى فى مشروع النهضة والإحياء والتجديد ...

تلك مجرد نقاط وعناوين تصور أوّلى .. إذا أغناه الحوار ، وطورته الإضافات والتعديلات .. فلقد يكون صالحاً – إذا وضع فى الممارسة والتطبيق – أن يعبر بنا الحلقة المفرغة للمأزق الفلسفى الذى نعيش فيه ، ويقودنا – عبر مرحلة « النمو » – إلى « فلسفة إسلامية معاصرة » .. تتأسس على العقيدة الإسلامية .. وتستعين بالعقلانية الإسلامية ... وتكون بمثابة « الفكرية – الأيديولوجية » ، التى تصطبغ بها نظرة المسلم للكون ، كما تكون قسمة من قسمات المشروع الحضارى الإسلامى ... وأداة من أدوات التغيير للواقع البائس الذى يحياه المسلمون الآن ...

والله من وراء القصد ... وبه نستعين ... وهو ولى التوفيق ...

* * *